جزيرة ارواد

جاءت الانباء في اوائل الشهر الماضي بان بحرية الاسطول الفرنسوي في بحر الروم احتلوا جزيرة ارواد على ساحل سورية في آخر اغسطس الماضي ورفعوا عليها الراية الفرنسوية. وارواد هذه جزيرة صغيرة في منتصف الطريق بين طرابلس الشام واللاذقية وهي اقرب قليلاً الى الثانية منها الى الاولى والى الجنوب الغربي من بلدة طرطوس وعلى مقربة منها و يمكن الوصول اليها من طرطوس في زورق من زوارق الصيد التي تكثر في تلك الجهة في اقل من ساعة. وهي الجزيرة الوحيدة التي يصح ان يطلق عليها هذا الاسم في جوار ساحل سورية وهي تبعد عن البر نحو ميل وربع

وهذه الجزيرة صخر كبير غير منتظم التنضيد طوله نحو ٢٦٤٠ قدماً وعرضه نحو ١٦٥٠ قدماً وسطحه مغطى بطبقات سميكة من الرمل ومشغول كلهُ تقريباً ببلدة ارواد وهي بلدة حقيرة سكانها نحو ٢٣٠٠ نسمة لا حرفة لهم سوى نقل البضائع على سفنهم وصيد السمك واستخراج الاسفنج. وفي الجزيرة اعمدة كثيرة وخصوصاً في ما يلي الميناء. ولا يزال حول الجزيرة انقاض سور عظيم ولاسيما في الجهة الغربية منها و يختلف علو ما لا يزال قائماً منهُ هناك من ٢٨ قدماً الى ٣٨ قدماً وهو مبني على طرز البناء القيقلوبي الضخم. وفي اعلى قمة في الجزيرة انقاض قلعة عربية قديمة. وقد كان قرب الميناء قلعة اخرى عفت آثارها. وفي الجزيرة صهاريج كثيرة يستقي منها اهلها وفي الجهة الشرقية منها مما يلي البر نبع ماء عذب يفور من البحر

مجمل تاريخها

ارواد او ارادوس او رواد كلمة عبرانية معناها التيه او ملجأ الهاربين كان فيها كثير من ابنية الفينيقيين واليونانيين مما لا تزال اثارهُ ماثلة حتى الآن. وكان لها على رواية المؤرخ كاريك ميناءان صغيران في الجهة الشمالية الشرقية. وفيها الآن كثير من الآثار والنقوش والكتابات اليونانية ومعظمها مستهل بكلمتي السناتو والشعب

اما تاريخها فقديم جداً وقد ذكرت مرات كثيرة في البقية الباقية من تاريخ الفينيقيين فانها كانت ثالث مدنهم بعد صور وصيداء. وذهب بعض المؤرخين الى ان الصيدونيين هم الذين اختطوا هذه المدينة وخالفهم آخرون فقالوا ان الشهادات التاريخية الكثيرة تثبت ان بانيها هو الارودي الذي جاء ذكرهُ في التوراة او اقرب رجل اليهِ من ذريتهِ فلم تكن لذلك

احدث عهداً من صيداء . وتقدمت ارواد في عهد الفينيقيين تقدماً عظيماً واتسع نطاق تجارتها وجاب تجارها الامصار وشقت سفنهم عباب البحار وذُكر اهلها في الكتب المقدسة فقال النبي حزقيال عنهم في كلامهِ عن مدينة صور « اهل صيدون وارواد كانوا ملاحيك » وقال « بنو ارواد مع جيشك على الاسوار من حولك الابطال كانوا في بروجك علقوا اتراسهم من حولك هم تمموا جمالك »

وكانت حكومة ارواد ملكية على رواية سترابو المؤرخ ثم صارت جمهورية . وكانت مملكتها متسعة النطاق تشمل الجانب الاكبر من شمال سورية (من جبيل الى اللاذقية واوصلها بعضهم شمالاً الى مصب نهر العاصي في البحر المتوسط) وظلت في عزة ورفعة يهابها الاعداء ويخطب ودها الاصدقاء حتى جاء الفتح الفارسي فعنت لحكمهم وصار ملوكها يدفعون الجزية للفرس

وبعد ما انتصر الاسكندر على داريوس في معركة ايسوس (سهل الاسكندرونة) سنة ٣٣٣ قبل المسيح زحف على سورية ليدوخها قبل ان يسير على بلاد فارس فالتقى بهِ سترابو ابن جيرو ستراوس ملك ارواد وقدم اليهِ تاجاً ثميناً وسلم اليهِ جزيرة ارواد ومدينة ميراثوس (عمريت) وبعض مدن اخرى كانت خاضعة لارواد فرضي الاسكندر بهذا التسليم بالسرور والارتياح اما جيرو ستراتوس ملك ارواد فكان قد سار مع كثيرين من ملوك فينيقية في الاسطول الفارسي لقتال المكدونيين

ولما استبد السلوقيون بسورية كانت ارواد داخلة في ما عنا لهم من البلاد وقد ذكرت كثيراً في تاريخ دولتهم واشتهرت خصوصاً باعداد السفن للحروب التي اثارها ملوكهم ولكنها كانت قد انحطت كثيراً عن منزلتها السابقة وما زال نجمها في افول حتى انقسمت مملكة السلوقيين على نفسها فعاد ذلك عليها بفائدة عظيمة . ولما نشبت نار الحرب بين سلوقوس كالينيوس وانطيوخس هيراكس جعل ملك ارواد جزيرتهُ ملجأ للهاربين السياسيين فاتوا فيها في امن وسلام وكان كثيرون منهم من اصحاب المراتب العالية فلما فض النزاع وسوي الخلاف عاد هؤلاء الى اوطانهم وسعوا في مكافأة ارواد على جميلها فاسترجعت بذلك بعض مكانتها السابقة وزادت عزة وبسطة

ولكن الدهر لم يصفُ لها طويلاً فاتى الرومان سورية وفتحوها بقيادة بومبيوس وجعلوها ولاية رومانية واثقلوا عاتق اهلها بالجزية التي فرضوها عليهم فثاروا على الرومان واحرقوا

قائدين من قوادهم المشهورين فانتقم الرومان منهم وقتلوا كثيرين من وجوههم وكبرائهم

ولما ضاقت الجزيرة باهلها بنوا في البر قبالتها مدينة انترادوس (اي المقابلة لارادوس) وهي مدينة طرطوس الحالية . وقد خربت هذه المدينة مراراً ولكن قسطنطين الكبير اعاد بناءها سنة ٣٤٦ للمسيح واطلق عليها حينئذٍ اسم قسطنطينية وظلت تعرف بهذا الاسم الى القرون الوسطى لما ابدل باسم طورطوسا ثم حرفها العرب الى طرطوس

وذكرت جزيرة ارواد في جملة الاماكن التي امر لوقيوس القنصل الروماني بحماية اليهود فيها باشراف شمعون رئيس الكهنة كما ورد في الكتب المقدسة . ودخلت المسيحية هذه الجزيرة بواسطة بطرس الرسول لما زارها ثم صارت كرسي اسقفية وقد ذكر اسقفها في اعمال المجمع القسطنطيني . ولما عاد الخليفة معاوية ابن ابي سفيان مؤسس الدولة الاموية من غزوة قبرص في سنة ٦٣٧ اتى بسفنه الى جزيرة ارواد ودنا سكانها الى الطاعة فأبوا فشدد عليهم الحصار ولكنه لم ينل منهم منالاً فارفد اليهم اسقف حماة ليحملهم على المسالمة والصلح فيسوه عندهم وكان فصل الشتاء قد دنا واشتدت الارياح والامطار فاضطر معاوية الى رفع الحصار عنها ورجع الى دمشق . وعاد اليها بعد سنة وحاصرها فاستسلم اهلها بشرط ان تكون لهم الحرية في الذهاب اينما شاؤوا ودخلتها عساكر معاوية وحرقتها ودكت اسوارها وعطلت بناءها

وذكر ابن الاثير ان فتح ارواد كان سنة ٥٤ قال وفيها فتح المسلمون جزيرة ارواد وبقدمهم جنادة بن ابي امية واقاموا بها سبع سنين . وذكر ياقوت ان فتحها كان في تلك السنة ايضاً ايام معاوية وكان من الذين فتحوها مجاهد بن جبر المقرىء وتبيع ابن امرأة كعب الاحبار

وقد اخذت ارواد تتقهقر منذ ذلك الحين فانحطت مكانتها وبارت تجارتها وما زالت تتناوبها الدول حتى جاء الصليبيون فاستولوا عليها وظلت في يدهم الى سنة ١٣٠٢ لما برحوا البلاد بجملتها . وامتدت مملكة ارواد في زمانها من جبيل الى اللاذقية كما تقدم وكان اشهر مستعمراتها حينئذٍ بلطس وبلانيه وكارن وانهدرا وسراثوس وهي معروفة الآن باسماء بلده وبانياس والقرنون ورمقا (بين طرطوس وعمريت) وعمريت

وكانت جزيرة ارواد آخر ما بقي بيد الفرسان الهيكليين من الصليبيين في سورية

ش ٦ العين الصناعية مقتطف أكتوبر ١٩٠٥